الفصل التاسع

مبادىء التّربية الخُلُقيّة والعقليّة والاجتماعيّة والعاطفيّة

البحث الأول:

مبادىء التّربية الخُلقيّة

اتّفقَ المربُّون على أنّ التّربية الأخلاقية تُعتبر أصعبَ جانبٍ في التّربية عُموماً، ولعل صعوبة الأمر ترجع إلى أنّ التّربية هنا تعتمد على تربية النفس، وتربية النّفس أصعب من تربية الجسم لأنّ العلم بشأن هذا الأخير تقدم واكتشف الكثير من قوانينه بخلاف الأولى، فإن معظم قوانين علم النّفس لا تزال مجهولة وما اكتشف منها شيء قليل بالنسبة لما لم يكتشف بعد.

كما اتفقوا على أن التّربية الخُلقية ألزم تربية للحياة الإنسانية، فحياة الجماعة ومدى نجاحها وسعادتها واستقرارها مرتبطة بحياتها الأخلاقية، والأخلاق من أهم الصّفات التي تميز الإنسان من الحيوان والحياة الإنسانية من الحياة الحيوانية.

والإنسان الخيّر هو الإنسان المتخلق، وبناء الشّخصية الأخلاقية أهمّ من تكوين العالم في ميدان بناء الإنسان، ذلك أنّ الإنسان الجاهل المتخلّق خير من العامل اللاّأخلاقي، لأن الثّاني أضر بالنّاس من الأول والعالم الفاسد أكثر فتكاً بالمجتمع من الجاهل الفاسد، ولأنّ الجاهل مهما كان فتاكاً فضرره محدود لا يتجاوز حدود أفراد معينين. أمّا العالم الفاسد فيستطيع أن يُفسد المجتمع بأسرهِ، بل المجتمعات بأسرها حتى إن لم يرد إفساد المجتمع فإنّه بلا شك يُفسد نفسه ويفسد بيته؛ ولهذا يقول

التّربويُّون: «إنّ التّربية الطّيّبة هي أكبر خير يمكن أن يُسْدَى إلى الأولاد». ويقولون أيضاً: «إنّ نقل المرء لورثته ثروة ليس شيئاً بجانب إتحافهم بهذا الميراث الأخلاقي الذي يعلمهم التّصرف بحكمة في الثروة متى وضعوا اليد عليها وتحديدها متى فقدوها والصّبر عنها بلا أسف حين لا يستطيعون تحصيلها». ومن ثمَّ يُعطون الأهمية في التّربية الأخلاقيّة قائلين: «إن العناية الأخلاقية هي غاية الدقة وإنّ أكثر النّاس حتى أولي الألباب لا يفهمونها حق فهمها، ويظنون أنّهم فعلوا كل ما يجب عليهم أن يفعلوه متى تركُوا لأولادهم سعةً ماديّةً».

وفي مجال التّربية والتّعليم إمّا أن نربّي إنساناً متعلّماً متخلّقاً أو لا نربّي ولا نعلّم، لأنّنا إذا علّمنَا إنساناً ولم نعلّمه أخلاقاً ثم عيّنَاهُ في أحسن المراكز موظفاً كأن يكون مديراً لدائرةٍ أو لخزانة الدولة أو قائداً للجيش، فإنّه يمكن أن يسرق مال الدّولة أو يبيع الوطن عن خيانة بدراهم معدودة، فإذا فعل هذا أو ذاك فماذا فعلنا نحنُ في التّربية والتّعليم؟ لم نفعل شيئاً سوى أن ربّينا متعلّماً يستطيع أن يكون لصّاً أو خائناً يبيع الوطن، ولهذا يقول الدكتور «ألكسيس كارل»: «إنّ الانحطاط الخُلُقي يؤدي إلى كوارث أفدح من تلك التي يؤدي إليها الانحطاط العقلي». وبالرغم من إدراك التربويين لهذه الحقيقة فإنّ التّربية الأخلاقية لم تأخذ مكانها اللائق في مجال التّربية والتّعليم، ليس في مجتمعنا فقط بل في المجتمعات كلّها وإن اختلفت فيما بينها بدرجة الاهتمام في ناحية معيّنة من الأخلاق. وليس المسؤول عن هذا وزارات التّربية والتّعليم في الدّرجة الأولى فقط بل الآباء مسؤولون أيضاً عن التربية الأخلاقية.

مبادىء التّربية الأخلاقية:

وهناك مبادىء في التّربية الأخلاقية، لا بدّ من تطبيقها في عملية التّربية الخُلقية، أهمّ هذه المبادىء هي المبادىء الآتية:

المبدأ الأول: غرس الثّقة في نفسيّة الطّفل، ويشمل الثّقة بنفسه والثّقة بغيره ولا سيما بالمربّي، والثّقة بأن الإنسان كاسب لسلوكه، ويستطيع تغييره وتبديله إذا شاء، ويكون صاحب إرادة وعزيمة.

المبدأ الثاني: غرس المحبّة والتّعاطف بينَ الطّفل وبين أفراد البيت من جهة وبينَ النّاس من جهة أخرى.

المبدأ الثالث: إشعار الأطفال أنّ المبادىء الخلقية نابعة من داخل الإنسان وليستْ قوانين مفروضة عليهم من المجتمع لأنّها مبادىء إنسانية يتميّز بها الإنسان عن غيره من الحيوانات، وأنّها ضرورة اجتماعية لا تقوم للمجتمع قائمة بدونها.

المبدأ الرابع: أن التّربية الخلقيّة لا تتمُ ولا تقوم لها قائمة بدون تربية قوة الإرادة، فتكوين قوة الإرادة هي المبدأ الأساسي في التّربية الأخلاقية ولا يستطيع الإنسان أن يطبّق المبادىء الأخلاقية في كل المواقف وفي كلّ الظّروف بدون أن يملك قوة الإرادة، ومظاهر قوة الإرادة هي الشجاعة في مواجهة الحياة وألوانها المختلفة حُلْوِها ومُرِّها، والثّبات على المبادىء التي يُؤمن بها والاستمرار في تطبيقها مهما تُكلّفه من العَنَاء والمشقة، أينما كان وحيثما وُجِدَ.

المبدأ الخامس: غرس إحساس خُلقي عند الأطفال. وهذا يتمُّ عن طريق إشعار الطّفل بإنسانيته وعدم زجر الطّفل وعقابه وتهديده بكثرة، وإذا كان لا بدّ من زجرٍ وعقابٍ فينبغي أن يكون ذلك بأخف ما يمكن وبالطّرق الأدبية الرقيقة والإرشادات الموحية بعدم رضائه عن سلوكه، وأنّه ينبغي أن يُنبّه عند عقابه إلى أنّ العقاب وسيلة للتّنبيه، وليس الهدف منه الانتقام، وأنّه بذلك لمصلحته ولخيره، لأنّ كثرة العقاب والتّهديد والزّجر يُوجد عند الطّفل البلادة وفقدان الإحساس الأدبي، ويُؤدّي إلى عدم نموّهِ النّموّ السّليم من النّاحية الشّعورية والإحساس الأدبي، فيكون كما يقول الشاعر:

مَنْ يَهِنْ يَسْهُلِ الهَوانُ عليه ... ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ

المبدأ السادس: إنّ التّربية الأخلاقية ينبغي أن تهدف إلى بناء الشخصية الخُلقية من الدّاخل أي من داخل الفرد ذاته.

وهذا يتم عن طريق تَشَرُّب الطّفل المبادىء الخُلقيّة، وهذا لا يمكن أن يتمّ عن طريق التّلقين المتّبع عادة في بلادنا، فالآباء والمربّون عادة يلقنون الأطفال المبادىء الخلقية بطريقة افْعَلْ هذا واتْرُكْ هذا، وهو لا يرى المثلَ الخُلُقي في أبيه أو معلّمه،

فهذه الطّريقة قد يقبلها بعضُهم وقد لا يقبلها بعضُهم، أو يقبلها ظاهراً ولا يقبلها باطناً، فلا بدّ أن يرى القدوةَ الصّالحةَ في ذلك.

أمّا التّربية الخُلُقية الداخلية فإنّها تتمُّ عن طريق الخبرة التي يُباشرها الأطفال، ويصلون إلى النّتيجة الأخلاقية بأنفسهم، ثم شرحها شرحاً عقلياً مقنعاً، وإذا اتّبع عند ذلك طريقة التّلقين بالتّقبيح والتّحسين فإنّه لا شك يُؤثّر في نفسية الطّفل تأثيراً أكثر وأعمق.

وبناء الشخصية من الدّاخل لا يتمّ بينَ يوم وليلة، فإنّه يحتاج إلى وقتٍ طويل، وهذا البناء أصعب من بناء العمارات وبناء المصانع، لأنّ العمارات والمصانع من الممكن أن تُبْنَى في مدّةٍ بسيطة عند وجود المال.

أمّا هذا فلا يمكن أن يُبنى بينَ يوم وليلة، ولا يتمّ بالمال، وإنّما يتمّ بالقدوة الصّالحة، فهم أهلُ التّربية البشرية الواقفين على أسرار الطبيعة البشرية وعلى طرق التربية السليمة، وشتّان بينَ مهندسٍ مادّي ومُرَبٍّ نفساني وروحاني، وكما أنّ بناء الشّخصية الخُلُقية صعبٌ ويأخذُ مدّةً طويلةً كذلك هدمه صعبٌ ويأخذُ مدةً طويلةً.

المبدأ السّابع: تطبيع الأطفال تطبيعاً خُلُقياً. أي جعل الأخلاق طبيعة ثانية وبذلك تصبح المبادىء الأخلاقية عادة يقوم بها الأطفال، كما يؤدُّون العاداتِ ولا يستطيعُون مخالفتَها، لأنّ النّفس ليس من السّهل أن تخالف عاداتها المتأصّلة. وكما أنّ تكوين العادات يأخذ مدّةً طويلةً، كذلك تركها يأخذ مدّةً طويلةً، وإذا دخل التّفكيرُ الأخلاقي في التّنظيم السيكُولُوجي والشخصي في الفرد ومارس هذا التّنظيم في السلوك وفي مواقف الحياة فعند ذلك يصبح هذا الشخص شخصية خلقية ويُوصف بأنّه إنسانٌ ذو خُلُقٍ.

البحث الثاني:

مبادىء التّربية العقليّة

إنّ التّربية العقلية من الجوانب الهامّة في التّربية لأنّ التّقدم العلمي والحضاري متوقّف عليها.

والتّربية العقلية في عمومها هي تنمية القدرات العقلية المختلفة بحسب ما تسمح به الاستعدادات الفطرية والوراثية الموجودة في كل فردٍ. ومعلوم أنّ هناك فروقاً بينَ الأفراد في هذه الاستعدادات، والمربُّون وإن اختلفوا في مدى إمكان تنمية تلك الاستعدادات، فإنّهم يعترفون بإمكان تنميتها، فيرى بعضُهم مثلاً أنّه إذا كانت نسبة الذّكاء الوراثي أو الفطري لدَى فردٍ ٥٠٪ فيمكن تنميته إلى ٧٠٪، وإذا كانت نسبة ذكائه الفطري ٧٠٪ فيمكن تنميته إلى ١٠٠٪ وهذه التنمية العقلية مهمّة جدّاً في حياة الأفراد والجماعات، ذلك أنّ عقل الإنسان هو رأس مالهِ في الحياة، ولا سيما بالنّسبة لمن يُحسنُ استخدامه، فتزويده أو تنميته بهذا المقدار معناه الإضافة إلى رأس ماله / ٢٠/ أو / ٣٠/ في المائة. وأيّ عاقل يرضى أن يستهين بهذا المقدار؟ هذا إذا نظرنا إلى قيمة العقل من زاوية المنفعة المادّية، وإذا نظرنا إلى قيمته من حيث إنّه وسيلةٌ لإسعاد الإنسان في الحياة فمعنى ذلك أنّنا بهذه التّنمية نزيد من سعادة الإنسان بذلك المقدار. وهذا مهم لحياة، الإنسان، ولا سيما إذا اعتبرنا أنّ هدف الإنسان من الحياة هو السّعادة في الدنيا والآخرة، ولهذا نرى أهل النّار يقولون يوم القيامة: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(١). والتّربيةُ العقليةُ تتمّ عن طريق تثقيفه بالمعلومات وتنميته بطرق التّربية العلمية وهذا وذاك لا يمكن تحقيقه إلّا باتّباع الطرق الآتية في التّربية والتعليم:

أولاً: أن يخضع تقديم المعلومات لطبيعة النّمو فنحن لا نستطيع أن نُقدّم أيّةَ معلومة في أيّة مرحلة، وبأيّة طريقة، إذاً تُوجد هنا عمليتان لا بدّ من ملاحظتهما وهما

---

(١) سورة الملك، الآية: ١٠.

عملية مراعاة مستوى المعلومات بالنسبة لمستوى النّمو، وعملية مراعاة مستوى الطريقة المناسبة لمستوى التلميذ في العمر العقلي، لأنّ المعلومات أو طريقة تقديمها إذا كانت فوق مستواه تؤدي إلى عدم فهمه لها من جهة وإعاقة نموّهِ من جهة أخرى، وإلى عدم ثقته بنفسه من جهة ثالثة. فمثلاً نحن نعرف أنّ الطّفل في المرحلة الأولى من حياته لا يستطيع إدراك المعاني المجرّدة ويبدأ في إدراكها بعد مرحلة التّنمية أو ما قبل البلوغ.

إذاً فلا يصح أن نقدم إليهم المعلومات المجرّدة في هذه المرحلة وإلّا سيُؤدّي الأمر إلى الأضرار التي ذكرناها، ولهذا قال الرّسولُ ﷺ: «**ما أنتَ بمحدّثٍ حديثاً لا تبلغه عقولهم إلّا كان لبعضهم فتنة**»[(١)]، وقالت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أُمِرْنَا أنْ نُكلِّم النّاسَ على قدر عقولِهم»[(٢)].

ثانياً: ألّا نتركه بعد تقديم المعلومات إلّا بعد أن نتيقّن أنّه قد أحاطها بالإدراك، وأصبحت واضحة في ذهنه؛ لأنّ عدم إحاطته بالمعلومات ووضوحها في ذهنه يجعل المعلومات عنده مشوّهةً، لا يستطيع تمييز بعضها عن بعض، وبذلك لا يستطيع استخدامها في مواقعها ومواضعها عند اللّزوم.

ثالثاً: أن نقدم إليه المعلومات بطريقة نقديّة، أي أنْ نُبيّنَ جوانب النّقص والكمال فيها، وأن نشجعه على إبراز هذا الجانب وذاك، وأن نشجعه على إكمال جوانب النّقص. هذه النقطة في غاية الأهمية في عملية التّعليم، وهي الوسيلة الهامّة أيضاً في عملية تنمية العلم وتقدّمه، ذلك أن عملية الإدراك عند الإنسان تتجه نحو التّكامل وإكمال ما نقص في ناحية من نواحي المدركات، فإنّ عقل الإنسان يعمل باستمرار لإكمال شيءٍ إذا قُدّم إليه ناقصاً، فلا يستريح إلّا بعد إكماله. فلو أنّنا قدّمنا مثلاً في المرحلة المتأخرة النّظريات العلمية وقوانينها وبيّنا جوانب النّقص فيها فإن عقول المتعلّمين تعمل باستمرار لإكمالها. وبذلك يتقدّم العمل ونتقدم نحن في العلم،

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١/ ٧٦.
(٢) صحيح مسلم - تحقيق عبد الباقي ١/ ١١.

ويكون الأمر خلاف ذلك إذا قدمناها على أنّها كاملة دون بيانِ نقصها وإثارة الأذهان لإكمالها.

رابعاً: أن تكون المعلومات التي تقدمها موثّقةً وصحيحةً؛ ليكون بناء الثّقافة في ذهنه سليماً في أساسه. فمن هنا يُخطىء بعضُ الآباء إذْ يقدمون لأبنائهم معلومات غير صحيحة ويعرفون أنّها غير صحيحة، وذلك إمّا لتخويفهم أو لصرفهم عن إجابة أسئلتهم واستفهاماتهم عن بعض الأمور التي تُثير أذهانهم وعقلوهم عندما يتفتحون على العالم المحيط بهم. كتخويفهم بالقول الذي لا وجودَ له، وبضرر الأشياء مع أنّها غير مضرة، وما أشبه ذلك، إذْ أنّ هذه الأمور تؤثر في حياتهم وتخيلاتهم واتّجاهاتهم السّليمة إزاء شيء ينبغي أن تكون اتجاهاتهم سليمة وصحيحة في الوقت نفسه.

هنا تأتي اللّباقة والمهارة في التّربية. فينبغي أن يعرف الآباء أيضاً كيف يجيبون على أسئلة أبنائهم بطريقة مقنعة ومناسبة لمستواهم وأنْ تكونَ إجابة صحيحةً لا يوجد فيها تلفيق، ولا تشويه للحقائق؛ لأنّ تشويه الحقائق في هذه المرحلة معناه تشويه لعقولهم. وإلى جانب اللّباقة والمهارة في طريقة الإجابة ينبغي أن يكونوا ماهرين في تعليمهم طريقة الأسئلة أو طريقة تحويل أسئلتهم وتوجيهها إلى حيث ينبغي أن تتجه إليه أو إلى الموضوع المناسب الذي ينبغي أن يسألوا عنه. وذلك إذا كانت أسئلتُهم تتعلّق بأمور لا يستطيعون فهمها أو لا ينتفعون بها في تلك المرحلة الثقافية، وهذا أسلوبٌ قرآني أيضاً حيث إنّ الأعراب لمّا سألوا عن سبب الأهلة، ما كانوا في مستوى علمي يمكن أن يفهموا أسباب ذلك فوجّههم إلى منافعها فقال تعالى مثلاً: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾(١).

خامساً: بيان وتقديم طرق التفكير للوصول إلى الحقائق.

يجب التمييز هنا بينَ التّفكير العلمي والتّفكير الخُرافي:

أمّا التّفكير العلمي فله صور تختلف باختلاف الموضوعات العلمية. فنحنُ نعلم أنّ هناك ثلاث مجالات للعلم.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

الأول: الطبيعة المحسوسة وهو مجال علم الطبيعة.

والثّاني: المعقولات المجرّدة وهو مجال المنطق.

والثّالث: الرّوحانيات وهو مجال الوحي. والمعيار في المجال الأول: هو التّجربة. وفي الثاني: قوانين التّفكير وأشكالها. وفي الثالث: الوحي. ولكن مع ذلك لا ينبغي أن نفكر أنّ هناك انفصالاً حاسماً من جميع النّواحي بينَ تلك المجالات، فمع ذلك هناك علاقة وارتباط أيضاً.

وتُوجد هنا صورتان للتفكير العلمي المتّبع حالياً في مجالات التّفكير العلمي. الأول: التّفكير الاستقرائي وهو استخلاص حكم كلّي من الجزئيات. أي انتقال من جزئي إلى كلّيّ، وهو التّفكير السائد في مجال علم الطّبيعة. والصورة الثانية للتفكير العلمي: هو التّفكير الاستنباطي، وهو استخلاص الجزئيات من الكليات. أي الانتقال من حكم كلّي إلى حكم جزئي، وهذا التفكير هو التّفكير المنطقي أيضاً، ولهذا فإن التّجارب العلمية قامت على أُسس منطقية أيضاً. لكن التجربة أصبحت معياراً لصدق الأفكار في مجال الطبيعة.

أمّا المعيار في اختبار الأفكار عن الكون والإنسان، وعن خالقهما «وهو الله تبارك وتعالى» فهو القرآن العظيم والسّنّة النّبويّة الكريمة فهما المقياس الصّحيح والسّليم لجميع الأفكار الإيمانية التّصديقية، وما يتبعها من معالجات للشّؤون الحياتيّة العامّة والخاصّة.

البحث الثالث:

مبادىء التّربية الاجتماعية

إنّ أهمية التربية الاجتماعية للأطفال في البيت ترجع إلى أساسين هامّين في التّربية الاجتماعية:

الأساس الأول: هو أنه كلّما كان الطّفل صغيراً عند خضوعه لعملية التربية

الاجتماعية كان أثر التّربية أكثر تأثيراً وإفادةً؛ لأنّه يكون في تلك الحالة أكثر قابلية للتطبيع الاجتماعي وأكثر مطاوعة له.

الأساس الثاني: إنّ أثر أوّل تفتّح الطّفل للحياة الاجتماعية له دور كبير في تحديد وتنظيم الجانب السيكولُوجي من شخصية الطّفل الاجتماعية في حاضره ومستقبله، فإذا كان هذا الاتصال أو هذا التفتح الأول للحياة الاجتماعية سلبياً كان اتجاهه للجماعة سلبياً، وإذا كان إيجابياً كان اتجاهه إزاءها إيجابياً أيضاً. أي إذا كان هذا الاتصال محققاً للحاجات السيكولوجية والبيولُوجية للطفل كان تجاوبه مع المجتمع واتجاهه نحوه سوياً ومقبولاً متعاطفاً، أمّا إذا كان غير محقق لهاتين الحاجتين كان اتجاهه نحوه شاذاً منحرفاً عدوانياً.

وأهمّ أهداف التّربية الاجتماعية هو جعل النّاس أسوياء اجتماعياً، أسوياء في المواقف الاجتماعية المختلفة، أي أنْ يقف فيه كلُّ فردٍ بحسب المعايير الاجتماعية العامة السائدة في مجتمعه، وهذا يظهر بوضوح في احترامه للآداب الاجتماعية واحترامه لمشاعر النّاس وإحساساتهم الأدبية والإنسانية، ثم مراعاته مصلحة الجماعة بوجه عامّ ومصلحة الأفراد الذين تجمعهم حياة مشتركة بوجهٍ خاص.

فالخروج على هذه المعايير الاجتماعية، وعدم مراعاة هذه الأمور السابقة في حياته يُعتبر انحرافاً عن السلوك الاجتماعي وشذوذاً فيه. هذا جانبٌ هامٌّ من السلوك الاجتماعي بالنّسبة للمجتمع وبالنّسبة للفرد أيضاً لأن عدم استطاعة الفرد أن يقف في المواقف الاجتماعية كما ينبغي أن يقف فيها كإنسان من الناس أو كفرد من المجتمع مثل عدم استطاعته مخاطبة النّاس في محفل اجتماعي أو عدم قدرته على إبداء آرائه وأفكاره للنّاس بالطريقة المرضية لنفسه وبغيره سواء كان ذلك لخجلٍ منه أو لعدم إعداد أسرته له للوقوف في هذه المواقف، إنّ مثل هذه الحالات قد تؤدّي إلى الفشل في مناحي الحياة الاجتماعية.

فمثلاً يُوجد هناك من النّاس من لا يستطيع أن يدخل بين النّاس المجتمعين، ويخاف من التّجمعات لأنّه لم يعوّد وهو صغير على مخاطبة النّاس، والدخول في تجمّعات بشريّة، بلْ إنّه يتجنب النّاسَ الغرباء، ومثل المدرّس الذي لا يستطيع

التّكيّف مع التلاميذ في المدرسة، فهو في هذه الحالات لا يرضى عن مواقفه، ولكنّه لا يستطيع تغييرها أيضاً إلى حيث يرغبُ ويُريد، لأنّه لا يعرف السّبب في ذلك، ولأنّه لا يعرف كذلك أساليب تغير السّلوك عن طريق تغيير التنظيم السيكولوجي لشخصيته.

وهكذا يكون شعوره عن نفسه غير راض في الحياة الاجتماعية لأنه يشعر أولاً أنّ النّاس غيرَ راضين عن مواقفه، ولأنّه لا يستطيع قضاء مصالحه في هذه الحالات، المصالح التي يتوقف تحقيقها على الوقوف في هذه المواقف كوقوف السّوي اللّائق بالفرد الاجتماعي، فكم من كبار النّاس فشلوا في حياتهم الاجتماعية بعد أن رقوا إلى المناصب العالية في المجتمع، لأنّهم لم يستطيعوا أن يقفوا في تلك المواقف كما تتطلب منهم أن يقفوا فيها. ولقد تعرّضتُ لمثل هذا في أوّل شبابي.

وأهم الشّروط التي يجب مراعاتها في عملية التّربية الاجتماعية لتكوين إنسان سويّ هذه الشّروط الآتية:

أوّلاً: أن يشعر الطّفل منذ تفتّحه للحياة الاجتماعية في البيت بالأمن والاطمئنان والاستقرار، ولكي يشعر بهذا ينبغي تحقيقُ حاجاتِهِ الأوّلية، وعدم تهديده بالحرمان أو التّشريد أو غير ذلك، ثم استقرار معاملة الأسرة له، فلا تتناقض معاملة الأفراد له بين يوم وليلة مثلاً. وإذا لم يشعر الطّفل بالأمن والاستقرار في حياته الاجتماعية وفي علاقته بغيره في هذه المرحلة وفي هذه العملية، فلا بدّ من أن يكون قلقاً في علاقته بالنّاس. والقلقُ عالمٌ قاتلٌ لنشاط الإنسان وحيويته في الحياة وهو من عوامل فشل الإنسان فيها.

ثانياً: عدم القسوة في معاملته في طفولته. لأنّ هذه المعاملة القاسية تخلق في نفسه العدوانية لا على أفراد أسرته فحسب بل على المجتمع كلّه. ولهذا يكون هذا الطّفل في كبره شاذاً في سلوكه منحرفاً في أخلاقه عدوانياً على المجتمع يتعدّى على هذا وذاك بسببٍ أو بغير سببٍ، أو لأمورٍ تافهةٍ لا تكون عادةً سبباً للتعدّي، بل إنّه يبحث عن وسائل يتذرع بها للتّعدّي على النّاس وعلى المجتمع، ويُحاول أنْ يخرج باستمرار على القانون وعلى السلطة، وعلى معايير المجتمع وعاداته.

ثالثاً: عدم تدليله والإفراط الزائد عن الحد في رعايته: لأنّ الطّفل المدلّل في حياة الأسريّة يخرج على المجتمع وينتظر منه التّدليل، وتحقيق جميع متطلباته، والصّفح والعفو عن جميع زلّاته، ولا يستطيع مواجهة الصّعاب والمشكلات في الحياة، لأنّه تعوّد العفو عن جميع زلّاته، وتعوّد كذلك على أن يحل له جميع مشكلاته وعلى ألّا يُواجه أيَّ صعوبة في الحياة، وعندما لا يرى هذا ولا ذاك إطلاقاً، أو قد يرى ولا يرى أحياناً فإنّه ولا شكَّ لا يستطيع تحمّل مثل تلك الأمور، وبالتّالي يفشل في الحياة الاجتماعية وفي حياته العامّة، إذاً فإنّ هذه التّربية المدلّلة تُؤدي إلى انحراف معيّن، كما أن التّربية القاسية تؤدي إلى انحرافٍ آخر.

فلا بدّ من تربيةٍ متوازنةٍ، تُراعى فيها جميعُ الاعتبارات لبناء شخصيته الإنسانية بناءً أقربَ إلى الكمال، وأقرب إلى الواقع.

البحث الرابع:

مبادىء التّربية العاطفيّة

العاطفةُ تكوينٌ سيكُولُوجي مكتسب وقوة دافعة تدفع الإنسان إلى القيام بسلوك إيجابي أو سلبي إزاء أشياء مادية أو معنوية، وتختلف من شخص إلى آخر من حيث موضوعها وعددها ونوعها ودرجة قوتها أو ضعفها، ويمكن تغييرها وتبديلها وتكوين عاطفة جديدة للطرق التربوية. وللعاطفة جانبان أو مظهران: مظهر المحبة، ومظهر الكراهة. إنّ كلّ إنسان يحبُّ أشياء في الحياة ويكره أشياء، سواء أكانت هذه الأشياء مادية أم معنوية، غير أنّ هذه المحبة وتلك الكراهية لا تنشآن عبثاً أو بدون سبب، ولا تنشآن كذلك بين يوم وليلة، وإنما تكونان عند الفرد نتيجة خبرات متوالية سارّة أو مؤلمة أو بدافع فطري كامنٍ في طبيعة الإنسان.

فلا تتكوّن عاطفة المحبّة مثلاً عند إنسان إزاء آخر إلّا إذا رأى منه ما يسّره مرات متوالية، أو رأى منه منافع متعدّدةٍ متوالية، كما لا تكون عاطفة القرابة أو عاطفة

الأسرة إلّا بهذه الطّريقة، فالإنسان يحب أقرباءه عادة لأنّه رأى منهم أشياء سارّة من النّفع والعطف والرّعاية زمناً طويلاً.

وقد تتكوّن نتيجة واقع فطري مثل عاطفة الأبوّة والأُمُومة نحو البنوّة. وقد تتكوّن نتيجة التّربية مثل تلقين الآباء للأبناء بعض الاتجاهات وبعض الأفكار على أنّها قيّمة أو مقدّسة، وتلقينهم بعض الأمور الأخرى على أنها مكروهة قبيحة وضارّة.

إن العاطفة مهمة للإنسان في حياته لأنها تدفع الإنسان إلى فعل الأشياء التي يتعاطف معها وتدفعه إلى ترك الأشياء التي يكرهها بدافع داخلي، بشرط أن تكون العاطفة وراء العقل، وأن يكون العقل قائدها وإلاّ ستكون تصرفات الإنسان غير معقولة تسيّره العاطفة لا العقل، والعاطفة بدون العقل قد تسوق الإنسان إلى المهالك وتجعل حياته في شقاء.

وكم نرى هؤلاء الذين تسيّرهم عواطفهم لا عقولهم يقضون حياتهم في الحزن والبكاء لا لشيء إلّا لأنّ أحداً من الأقرباء قد تُوفي أو إحدى محبوباتهم قد فارقتهم، وكم نرى منهم من ينتحر ومنهم من يُقبل على ذلك من أجل حبّ أو كراهية. وما ذلك إلّا لأنهم قد جعلوا عاطفتهم قائدة لهم في الحياة، فلكي تكون حياة الإنسان متزنةً لا بدّ من أن تُوضع العاطفة وراء العقل، ثم إنّ العاطفة تُعتبر روح الحياة لأنّ الأعمال والسلوك بدون عاطفة تُعتبر قوالب صورية روتينيّة بدون روح. فهي لذلك تكون مملّة ومتعبة. أما العاطفة فإنها روح الأعمال وروح النّشاط تضفي بهجةً على حياة الإنسان.

كما أنّ القيام بأعمال بدون عاطفةٍ تكون مملّة، فإنه بالإضافة إلى ذلك لا يمكن أن تترك من ورائها الشعور باللّذة ولا عند القيام بها، وكذلك عند الابتعاد عن الأعمال التي ينبغي أن يتجنبها، فإنّه إن لم يكرهها بقلبه لا يجد في تجنّبها أيَّ لذّةٍ أو سُرورٍ.

أمّا العمل مع العاطفة أو مع المحبّة؛ فإنّه يجعل الإنسان يشعر بالارتياح واللّذّة، ولو شعر أثناء العمل بالإرهاق والتّعب من جهة أخرى. وهكذا يجب أن يهتم الآباء بتكوين العاطفة عند أبنائهم، عاطفة المحبة نحو الأسرة ونحو المجتمع ونحو

الإنسانية ونحو الدِّين ونحو الأخلاق وأخيراً نحو جميع جوانب الحياة القيّمة، وأن يكوِّنوا عندهم إلى جانب ذلك عاطفة الكراهة للأخلاق والأفكار الهدّامة والاتجاهات الخبيثة والنّزعات العدوانية، والسلوك البغيض، وأن يكرهوا كلَّ جانب من جوانب الحياة المنفردة والدّنيئة ومناظرها القبيحة أيًّا كان لونها وشكلها وبذلك يتعوّد الأبناء على حبّ كل ما هو جميل وحسن ونافع لهم وللنّاس، ويفعلونه ويدعون النّاس إلى فعله، كما يكرهون كلَّ ما هو قبيحٌ ومُنفِّرٌ وضارٌّ للفرد والمجتمع، ثم يتجّنبونه ويدعون النّاس إلى تجنّبه والابتعاد عنه.

وهذا من أهمّ الأمور في تربية الأبناء وإعدادهم إعداداً سليماً للحياة السعيدة.

والله تعالى وليُّ التّوفيق.

ebeikandl.com

obeikandl.com